الدرس (01): مفاهيم التأويل

أ-**التأويلية** " المصطلح، المفهوم، والنشأة": التأويل/ علم التأويل، فن التأويل/ التأويلية/ نظرية التفسير/ التفسيرية/ الهرمنيوطيقا هي المقابلات العربية للكلمة Herméneutique اليونانية التي يرجع أصلها إلى Herméneuein وهو فعل معناه " يفسر"، وإن كانت استعمالاته- كما يقول المتخصصون- توحي بثلاثة اتجاهات لهذا المعنى[1].

1. تفسير الشعر شفويا، ومن ثم يقترب معناه من التعبير Toexpress
2. الشرح Toexplain
3. الترجمة Totranslate

إذا أصل هذا المصطلح هيرمنيوطيقا – يوناني ويشير في معناه الدقيق إلى فن أو عملية تفسير النصوص، أي تحديد معانيها، كما يشير–بالنسبة للمعنى اليوناني والمعنى الحديث إلى " عملية تقريب شيء غامض أو غريب إلى الفهم ، أو ترجمة ما هو غير مألوف إلى صورة مفهومة"[2]. وفي اللغة الانجليزية يشير مصطلح Hermeutics باعتباره صوتا دالا أو إشارة لغوية – إلى معنى التفسير أو التعليل أو الشرح[3].

وإلى جانب ذلك، إن مصطلح هيرمنيوطيقا قديم بدأ استخدامه في دوائر الدراسات اللاهوتية ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني (الكتاب المقدس)، كان يستخدم في الأصل للإشارة إلى تفسير الإنجيل بصفة خاصة متضمنا صياغة القوانين التي تحكم القراءة السليمة للنص الإنجيلي، وكذلك التأويل، أي: التعليق على استخدام المعاني الواردة في النص، ولكن هذا المصطلح أصبح منذ القرن التاسع عشر يشير إلى النظرية العامة للتفسير، أي: صياغة الإجراءات والمبادئ المسؤولة عن التوصيل إلى معاني كل النصوص القانونية أو التفسيرية أو الأدبية أو الإنجيلية[4].

---

[1]- ينظر: محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر " لونجمان"، القاهرة، ط3، 2003، ص 112.

[2]-رامان سلدن: من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، ترجمة جماعة من الباحثين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2006، ص 399.

[3]-ينظر: عزت محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002، ص171.

[4]- نصر حامد ابو زيد، اشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص 13 .

وبناءً على ذلك، اتسع مفهوم مصطلح" هيرمنيوطيقا" في تطبيقاته الحديثة، وانتقل من مجال علم اللاهوت إلى دوائر أكثر اتساعا تشمل كافة العلوم الانسانية كالتاريخ وعلم الاجتماع الأنثروبولوجي وفلسفة الجمال والنقد الأدبي والفولكلور... وأصبحت القضية الأساس التي تتناولها " التأويلية" بالدرس هي معضلة تفسير النص بشكل عام، والأهم من ذلك أنَها تركز، بشكل لافت على علاقة المفسر " أو الناقد في حال النص الأدبي" بالنص، وهذا التركيز على علاقة المفسر بالنص هو نقطة البدء والقضية الملحة عند فلاسفة الهرمنيوطيقا[1]. وهذه هي النقطة أنَ أهملت في رأي نصر حامد أبي زيد، إلى حد كبير في الدراسات الأدبية منذ أفلاطون إلى العصر الحديث، وتجدر الإشارة –كذلك– إلى أنَ التأويلية القديمة ظلت مقتصرة على تفسير النصوص بتوظيفها فقه اللغة، وكانت مهمتها تكمن في توضيح الغموض ودفع اللبس اللذين يسببهما كل مخطوط، وكان المؤول – بفضل معارفه اللسانية– مترجما يجعل الغامض قابلا للفهم باستبداله الكلمة التي لم تعد مفهومة بكلمة أخرى، لكن عملية الكشف عن المعنى الحرفي كانت تصاحبها عملية البحث عن " المعنى المجازي" الذي يُكمَل المعنى الحرفي ويتجاوزه[2]. أما التأويلية الحديثة فتجاوزت عملية تفسير النصوص والبحث عند معناها لتسلط الضوء على " عملية الفهم في حد ذاتها ، وعلى الشروط الضرورية لمقاربة النصوص وفهمها.

وفي الثقافة العربية [3]. يعرف التأويل بأنه:" نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي، إلى ما يحتاج إلى دليل"، ويعرَف كذلك:" التأوَل والتأوَيل: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصح إلا ببيان غير لفظه"، والتأويل: عبارة الرؤيا ، أي: تفسيرها، والرؤيا عادة يكتنفها الغموض والغرابة والتناقض، والتصدي لها بالتأويل، أو استعمال التأويل معها، إشارة إلى قدرته المفهومية على تبديد ما فيها من غموض والتباس وخفاء. وتبعا لهذا، يمكن القول إن التأويل هو فن تفسير النصوص المبهمة.

التأويلية وقراءة النص الأدبي: العلاقة بين التأويلية و الأدب و النقد وثيقة حيث أصبح القارئ محور الدراسة والتحليل النقدي، وذلك انطلاقا من أن التأويل هو القراءة الممكنة للنص ، كون النص ليس مغلقا على نفسه كما في البنيوية ، بل مفتوح على القارئ ، يدخله من أية زاوية يشاء، فينتج فوق النص الأول نصا جديدا

[1]– محمد شبل الكومي، المذاهب النقدية الحديثة، مدخل فلسفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2004، ص 286.

[2]– ينظر: عبد الكريم شرقي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، الدار العربية، ناشرون " بيروت"، ط1، 1428 هـ، 2007، ص 24-25.

[3]– ينظر: عبد الرحمن القعود، الابهام في شعر الحداثة، العوامل والمظاهر وآليات التأويل، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2002، ص 300.

. ولعل من المسوّغات التي تشجّع على استعمال التأويل، أو تغري على استعماله منهجاً و استراتيجية لتلقي النص الأدبي ما يأتي:

– إن القراءة التأويلية منفتحة على القراءات والمناهج النقدية الأخرى تتفاعل معها وتستفيد منها: فهي تستفيد من السيمائية حيث إنه معرفة النظام السيميائي الخاص بالنص يسهم كثيرا في عملية التأويل، إذ يدعونا إلى التعرف على الأعراف اللغوية للعمل الذي ندرسه، ونحدد كذلك الملامح اللغوية الخاصة بالسياق والتراكيب ،كما تستفيد التأويلية من نظرية التلقي التي تغذي التأويل بمزيد من المعاني والمضامين ، وتزيد من جرأة المتلقي على إقتحام النص واختراقه ، والتوغل في مستواه الباطن وتستفيد من الأسلوبية في التعرف على طريقة الكاتب في الخطاب، والاقتراب من مستويات الخطاب البلاغية وتحليلها وتعليلها... غير أن التفكيكية من أبرز الإتجاهات النقدية قرب من التأويلية، فهي ترى أن النص لا يتحدث عن نفسه وإنما تجربتنا هي التي تحدثنا عنه، ومن أثر التفكيكية في النقد الأدبي شيوع ما يعرف بالنقد التأويلي[1].

– انفتاح النقد التأويلي على سائر القراءات والمناهج الحديثة مكنه من البحث عن القيم الإنسانية و الجمالية في النص بعد أن غاب وتراجع الإهتمام بهما في النقد الإيديولوجي و النفسي فيما يتعلق بالقيم الجمالية خاصة ، وفي الإتجاه الشكلاني فيما يتعلق بالقيم الإنسانية خاصة.

– القراءة التأويلية من المناهج والنظريات ذات أدوات و آليات قادرة على الكشف والحفر والإنتاج، كشف ما تحت سطح النص والحفر فيه حتى تكشف بنيابة العميقة وتنتج دلالته الغائبة[2].

– محاولة تحديد العلاقة الثلاثية بين المؤلف والنص والقارئ(الناقد) من خلال هذه التساؤلات[3]: ما هي العلاقة بين المؤلف والنص؟ وهل يعد النص مساويا حقيقيا لقصد المؤلف العقلي، وبالتالي يمكن للناقد أو المفسر أن ينفذ إلى العالم العقلي للمؤلف من خلال النص المبدع؟ أم أن قصد المؤلف والنص أمران متمايزان؟ وهل يمكن

[1]– ينظر: ابراهيم خليل، في النقد و النقد الألسني ، منشورات أمانة، عمان الكبرى، 2002، ص 114.

[2]– ينظر: عبد الرحمن محمد القعود، الإبهام في شعر الحداثة، ص 295.

[3]– ينظر: نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، مكتبة لبنان– ناشرون ،الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ص 213–214.

أن يكون هناك فهم موضوعي لمعنى النص كما أراده مؤلفه أن يفهم؟ على أنَ علاقة النص بالمفسر قد أغفلتها نظرية الأدب عبر مسار تطورها التاريخي.

– إن القراءة التأويلية من وجهة نظر بنيوية تعطي أهمية لعلاقات النص المكونة لبنيته الدلالية، فلا معنى لأية وحدات في النص إلا بفضل علاقاتها الداخلية، لكن البنيوية التكوينية لا تكتفي بهذه العلاقات أو السياق الداخلي للنص، و إنما تربطه بسياق آخر خارجي هو الشروط الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي أنتج فيها النص أي: إنَ قراءة التأويل تقوم بإقامة علاقة بين العمل الأدبي والواقع الخارجي الذي هو البنية الأوسع و الأشمل التي يركز عليها التأويل.

– تخترق القراءة التأويلية النسيج أو السياج اللغوي للنص لتتغلغل فيه، بسبر انبناءاته و أنساقه وتعالقاته، فهي ليست قراءة ساذجة لا تتجاوز سطحه، إنها تتجه نحو الوجود الممكن للدلالة دون الاكتفاء بملاحقة المعنى والكشف عنه...إنها محاولة إبراز ما يخفيه من دلالات ، وهذا من خلال التفاعل بين القارئ والنص باعتباره أحد آليات التأويل، ذلك أن موضوع الاهتمام النقدي للممارسة التأويلية هو بنية ممارسة القارئ وتجربته ،وكل ما في النص من قواعد ومعاني ووحدات شكلية " على أن الوعي بأهمية أفق النص في التأويل، أي الوعي بأهمية إشارات النص و سياقاته في التأويل،يحمي من الأحكام والتفسيرات الانطباعية والذاتية التي تخرج عند مدار النص و لا تلتحم بنسيجه[1].

– التأويلية منهج قرائي يعتمد تجربة الذات وينصب على اللغة والتراكيب ، فالمنظور التأويلي يدخل في حوار وجدل مع النص، حيث يتحول القارئ من تابع لشفرات النص إلى منتج حقيقي للنص، كل ذلك بهدف توضيح المعنى العام للعمل الأدبية في مجمله، حيث تكون اللغة وسيلة فقط، باعتبار أن للغة جانبين، جانب دلالي وجانب مجازي، والمجاز هو الذي يقع عليه التأويل، ومن هنا كان التأويل طريقة أفضل للفهم لأنه لا يكتفي بحدود الرؤية الظاهرة على السطح، بل يسعى إلى الغوص في الأعماق وقراءة ما يختبئ في ظلال الكلمات، وما بين السطور وفي الفجوات المتروكة موضوعيا في أي نص أدبي[2].

[1]– ينظر: عبد الرحمان محمد القعود، الإبهام في شعر الحداثة، ص 318.

[2]– ينظر: ابراهيم الزرزموني ، تأويل الخطاب الشعري، النظرية و التطبيق، مكتبة الآداب ، القاهرة، ط 1، 1431 هـ /2010 م، ص 26.